

ملخص خطبة الجمعة ٢٠٢٣/٥/٥

في مسجد مبارك إسلام آباد تلفورد

استهل حضرته الخطبة بتلاوة:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

ثم قدم حضرته بعض المقتبسات عن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن الحسنات الواردة في هذه الآية أي العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، والتي تحتوي على نصائح مختلفة توجهنا للعيش بحسب ما أمرنا الله به ﷻ. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"من المنطلق الأول تعني الآية أن عليكم أن تراعوا العدل في طاعة خالقكم ولا تكونوا من الظالمين. فكما لا يستحق غيره العبادة قط، كذلك ما من أحد يستحق الحب والتوكل من دونه، لأن كل ذلك من حقه هو وحده ﷻ لكونه خالقاً وقيوماً ورباً بوجه خاص. فلا تشاركوا أحداً في عبادته وحبه وربوبيته. فلو فعلتم ذلك فهذا هو العدل الواجب عليكم رعايته.

وإذا أردتم أن تتقدموا على ذلك فهناك مرتبة الإحسان؛ وهي أن تعتقدوا بعظمته وتتأدبوا في عباداتكم في حضرته، وتُفَنِّوا أنفسكم في حبه كأنكم رأيتم عظمته وجلاله وحُسنه الأبدي. ثم تأتي درجة إيتاء ذي القربى؛ وهي أن تكون عبادتكم وطاعتكم منزهة ومبرأةً تماماً من التكلف والتصنع، وتذكروه ﷻ بعلاقة قلبية كذكركم آباءكم، وأن يكون حبكم له كحب الولد لأمه الحبيبة.

ومعنى الآية من المنطلق الثاني أي من منطلق مواساة العباد والبشر، هو أن اعدلوا مع إخوتكم وبني البشر بوجه عام، ولا تتعرضوا لهم أكثر من حقكم، وتمسكوا بالعدل. أما إذا أردتم أن تتقدموا أكثر من هذه الدرجة أيضاً فهناك درجة الإحسان بعدها؛ وهي أن تحسن إلى أخيك الذي أساء إليك، وترجحه مقابل إيدائه لك، وتأخذ بيده مواساة له وإحساناً.

ثم تأتي درجة إيتاء ذي القربى؛ وهي أنه كلما أحسنت إلى أخيك وإلى بني البشر، فيجب ألا يكون نابعا من نية المن عليهم، بل ينبغي أن يصدر بصورة طبيعية دون أن يكون هناك مطلب مستقبلي في الحساب، بل ينبغي أن يصدر منك على غرار إحسان قريب إلى قريبه نتيجة حماس ناتج عن قرابة متينة.

ثم قال حضرته:

"وينقسم الذين يطيعون الله ﷻ إلى ثلاثة أقسام حقيقةً:

١. أولاً، من لا يرون الإحسان الإلهي بوضوح بسبب بعض الغشاوة التي تكون عليهم أو جراء اتكالمهم الزائد على الأسباب، فلا ينشأ في هؤلاء الحماس الذي ينشأ بالنظر إلى عظمة الإحسان، ولا يتحرك فيهم الحب الذي لا يتحرك إلا عند تصور عناية المحسن العظيمة، وإنما يقبلون حقوق الخالق ﷻ بنظرة إجمالية فقط، والمراد من العدل في الآية "إن الله يأمر بالعدل" مثل هذه الطاعة التي تكون بمراعاة مقتضيات العدل".

٢. أن يرى الإنسان يد فضل الله ﷻ وإحسانه مترها إياها عن التوكل على الأسباب، ولا يتراءى له إلا وجود واحد وقدرة واحدة ومحسن واحد ويد واحدة، ثم يرى إحسان الله ﷻ بنظرة صافية لا تشوبها ذرة من شرك الأسباب به، وهذه الرؤية صافية ويقينية لدرجة لا يرى المرء المحسن إليه غائباً عند عبادته بل يعده حاضراً يقيناً ويعبده، ويسمي القرآن الكريم هذه العبادة "الإحسان".

٣. وهناك درجة أعلى من هذه الدرجة وهي درجة "إيتاء ذي القربى" وتفصيلها أنه عندما يشاهد الإنسان الإحسان الإلهي لمدة طويلة دون إشراك التوكل على الأسباب، ويعد الله ﷻ حاضراً ومحسناً مباشراً ويعبده فينشأ الحب الذاتي في نهاية المطاف له ﷻ بسبب هذه التصورات، وفي هذه الحالة لا يعبد الإنسان الله تعالى اعترافاً بإحساناته بل يترسخ حبه الذاتي في قلبه، كما يحب الولد أمه بحب ذاتي. وحينئذ لا يرى الله ﷻ عند عبادته فحسب بل يستمتع برؤيته كالعشاق الصادقين وتزول منه كل الأغراض النفسانية ويحل محلها الحب الذاتي، وهذه درجة سماها الله ﷻ بـ "إيتاء ذي القربى" وأشار إليها الله ﷻ في الآية التالية ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

ثم قال ﷻ: "فملخص الكلام أن تفسير الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ هو أن الله ﷻ قد بين فيها المراتب الثلاث للمعرفة الإنسانية وعد المرتبة الثالثة مرتبة الحب الذاتي، وتخرق فيها جميع الأغراض النفسانية ويفعم القلب بالحب كما تمتلئ القارورة بالعطر، وإلى هذه المرتبة أشار الله ﷻ في الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة: ٢٠٧) أي يوجد في المؤمنين من يبيع نفسه مقابل رضا الله ﷻ، والله رءوف بأمثال هؤلاء، وقال ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١١٢) أي قد أفلح الذين سلّموا أنفسهم لله ﷻ وعبدوه متذكرين نعمه كأنهم يرونه، فهؤلاء سينالون جزاءهم من ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أي يصبح مقصودهم هو الله وحبه ﷻ وتضحى نعم الله ﷻ أجراً لهم، ويقول ﷻ في موضع آخر ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (الإنسان: ٨-٩) أي إنما المؤمنون الذين يطعمون المساكين واليتامى والأسارى من حبه ﷻ، ويقولون إننا لا نريد

منكم جزاء ولا شكوراً عوضاً عن هذا الطعام ولا يوجد غرض آخر، ولا نريد إلا وجه الله ﷻ من هذه الخدمة. "

ثم قال عليه السلام: "تتضمن هذه الآية الكريمة ثلاث درجات من إيصال الخير، الأولى أن تُقابل الحسنة بحسنة، ... أما الدرجة الثانية فهي أصعب منها نيلاً، وهي أن يبدأ الإنسان بالحسنة من تلقاء نفسه، ... وأما الدرجة الثالثة من إيصال الخير التي ذكرها الله تعالى فهي: يجب ألا يكون في قلب المحسن أي شعور بالإحسان والمن، ولا أي رجاء لتلقي الشكر عليه، بل يجب أن تصدر منه الحسنة بدافع المواساة، كما تحنو الأم على فلذة كبدها بدافع المواساة الخالصة. وهذه هي آخر درجات إيصال الخير، وليس وراءها درجة. أنهى حضرته الخطبة بحثنا على الدعاء إلى الله تعالى أن يوفقنا للعمل بهذه الأمور وأداء حق البيعة لأن من حقوق البيعة مواساة بني البشر أيضاً. وإلى الاستمرار في الدعاء أن يحفظ إيماننا فلا يتزلزل إيماننا أبداً، وتنشأ بالله تعالى علاقتنا مثل العلاقة على درجة "إيتاء ذي القربى"، وأن يهلك الله بنفسه أعداء يراهم ﷻ غير قابلين للإصلاح. وهذا سيحدث حين تكون علاقتنا بالله تعالى قائمة، وعندئذ سنرى مشاهد دمار العدو أيضاً.